المبحث الرابع

البعث بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: البعث في التصور الإسلامي

احتل البعث مكانًا كبيرًا في القرآن الكريم لدرجة «**أننا قلما نجد سورة في التنزيل إلا وللبعث واليوم الآخر فيها سهم، وأي سهم**» [١] واهتمام القرآن الكريم بالبعث واليوم الآخر يرجع إلى نواح منها:

الأولى: عرض صورة واقعية للبعث وما يصحبه وما يقع بعده من أحداث، وهذا ما سنتعرض له في هذا المبحث كواقعة من واقعات اليوم الآخر، ونرجئ الحديث عن الخلاف الذي وقع بين المسلمين وبعض الفلاسفة في حقيقة البعث: هل هو بالروح أم بالجسد أم بهما معًا إلى الفصل الثاني من الرسالة، حين عرض واقعات اليوم الآخر بين المتكلمين والصوفية والفلاسفة.

الثانية: مناقشة المنكرين للبعث ودحض شبههم وإثبات البعث بالأدلة العقلية والوجدانية والعملية والبعث من هذه الناحية سنتعرض له في فصل مستقل إن شاء الله.

مقدمات البعث:

من مقدمات البعث: النفخ في الصور، والصور هو القرن الـذي ينفـخ فيه. روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**» [٢]. ولقد تكرر الصور في القرآن الكريم في سورة:

(١) قصد السبيل في التفسير الموضوعي لآي التنزيل ص ١٢٧ .
(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ١٠/١٠ - ١١ تحقيق أحمد شاكر.

obeikandl.com

«الأنعام» و«المؤمنون» و«النمل» و«الزمر» و«ق» وغيرها [١]، وورد ذكره في السنة النبوية الشريفة وقد اختلف العلماء في عدد النفخات في الصور بعد اتفاقهم على أنه مما يسبق القيامة والبعث، فمن العلماء من اعتبر أن عدد النفخات ثلاث، من هؤلاء العلماء: ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم يقول: «**النفخات في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث**» [٢] والإمام الطبري عند تفسيره لقول الله عز وجل ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل :٨٧]. يقول: «**اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾** [النمل :٨٧]. عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**». قال: وكيف هو؟ قال: «**قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيامة لله رب العالمين**»[٣].

ويذهب الإمام النسفي في تفسيره إلى أن «**الجمهور على أنها ثلاث. الأولى للفزع كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ والثانية للموت، والثالثة للإعادة**» [٤].

وذهب بعض العلماء إلى أن عدد النفخات اثنتان.

يقول القرطبي في التذكرة بعد أن أورد اختلاف العلماء في عدد النفخات: «**وهما نفختان، ونفخة الفزع هي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي فزعوا فزعًا ماتوا منه، والسنة الثابتة على ما تقدم، والأحاديث تدل على أنهما نفختان لا ثلاث، وهو الصحيح إن شاء الله، لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي**

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٠٨ .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير جـ ١ ص ٢٧٩ .
(٣) جامع البيان للطبري – المجلد العاشر ص ١٤/١٣. الناشر دار المعرفة بيروت – الطبعة الرابعة ١٩٨٠ .
(٤) تفسير النسفي جـ ٤ ص ٦٦ – الناشر عيسى الحلبي.

﴿ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر :٦٨] فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع، فدل على أنهما واحدة، وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: **«بين النفختين أربعون سنة . الأولى: يميت الله تعالى بها كل حيّ، والأخرى يحيي الله بها كل ميت»** [(١)]. وذهب النيسابوري في تفسيره إلى أن **«النفخ في الصور مرتان، وذهب البعض إلى أنه ثلاث نفخات: الأولى للفزع كما جاء في سورة النمل، والثانية للموت وهو معنى الصعق، والثالثة للإعادة، والأظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه إثبات نفختين»** [(٢)].

ويذهب صدر الدين الشيرازي إلى أن نفخة الصور نفختان: **«الأولى لإماتة الإنسان ولمن يزعم أن له حياة، والنفخة الثانية لأجل الإحياء بعد الإماتة حياة أخرى أرفع من الأولى»** [(٣)]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر :٦٨].

ورجح ابن حجر في فتح الباري القول بأن النفخ في الصور مرتان فقط، وحديث الصور الطويل الذي فيه ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة للفزع، ونفخة للصعق ونفخة للقيام لرب العالمين، هذا الحديث أخرجه الطبري مختصرًا، وسنده ضعيف ومضطرب. والأحاديث الصحيحة تثبت أنهما نفختان، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر» [(٤)] وما أخرجه البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود موقوفًا **«ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى لله خلق في السماوات ولا في الأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون»**. وفي حديث أوس بن أوس الثقفي، رفعه أن **«أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه الصعقة، وفيه النفخ»** الحديث أخرجه أحمد وأبو داود

---

(١) التذكرة للقرطبي بتصرف جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٢) تفسير غرائب القرآن للعلامة نظام الدين النيسابوري بهامش تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ص ١٩ بتصرف.

(٣) حقائق البعث والنشور. صدر الدين الشيرازي ص ٩٩، ١٠٠، بتصرف - الناشر دار التراث العربي - الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

(٤) سيأتي ذكر هذا الحديث.

والنسائي، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وفي كل ذلك دلالة على أنهما نفختان فقط» [١]، وبهذا التحقيق من ابن حجر للأحاديث التي وردت تَبَيَّن أن النفخ في الصور مرتان، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون»**. قال: أربعون يومًا؟ قال: **«أبيت»** قال: أربعون شهرًا؟ قال: **«أبيت»**. قال أربعون سنة؟ قال: **«أبيت»** [٢]. وقوله أبيت أي امتنعت من الإخبار بما لا أعلم [٣]. قال صاحب الفتح: **«النفخةُ الأولى هي نفخة الصعق، ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية، وهي نفخة البعث. قال ابن عباس: الراجفة النفخة الأولى، الرادفة النفخة الثانية»** [٤]. وبعد هذا العرض لآراء العلماء حول عدد النفخات في الصور نرجح ما ذهب إليه القرطبي في التذكرة، وابن حجر في الفتح، نظرًا لأن ظاهر الأحاديث الصحيحة تؤيد أن النفخ مرتان، وما استدل له العلماء من كون النفخ ثلاث مرات - كابن كثير - فإن الأحاديث فيه ضعيفة كما بيّن ابن حجر في الفتح، ودليل آخر أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل :٨٧] ورد في آيتي الفزع والصعق، ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معا من النفخة الأولى.

وقد ورد في السُّنة أن الصور من مقدمات القيامة، وأنه يسبق البعث مباشرة، فقد ورد في صحيح الإمام مسلم حديثٌ طويلٌ عن علامات الساعة، وما يقع قبل النفخ في الصور، وما يقع بعد النفخ فيه النفخة الأولى والثانية.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر حديث الصور، وفيه **«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال: ينزل مطرًا - كأنه الطل اللَّهُمَّ أو قال الظل**

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٠، ٣١١ .

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٨٢٣. للأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ١٩٧٧ .

(٣) نفسه.

(٤) فتح الباري جـ ١ ص ٣١٠ .

- **فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم قال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم،** ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم يقال أخرجوا بعث النار، فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساق» [(١)]. يقول النووي في شرح الحديث السابق. «**أصغي ليتًا ورفع ليتًا، الليت بكسر اللام صفحة العنق وهي جانبه، وأصغى مال عنقه ليستمع جيدًا من السماء، والطل أي كمنيّ الرجال، وقوله يوم يكشف عن ساق: أي يوم يكشف عن شدة وهول عظيم أي يظهر ذلك، ويقال كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت**» [(٢)].

البعث:

عرف العلماء البعث بأنه توجه الشيء إلى ما كان عليه، والمراد هنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رُجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق، وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة [(٣)]، ويعرف البعث بأنه «**إعادة الأجزاء الأصلية، لا إعادة الأجزاء الفاضلة**» [(٤)] ويعرف أيضًا بأنه «**عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم، بعد جمع الأجزاء الأصلية التي من شأنها ذلك كالظفر**»[(٥)]. وهذه التعريفات كلها تُجْمِعُ على إحياء الموتى بأجسادهم بعد الموت وخروجهم من القبور.

يقول إمام الحرمين في الإرشاد: «**فإن سُئِلنا الدليل على جواز الإعادة استقرأناه من نص الكتاب وفحوى الخطاب، وشَبَّهنا الإعادة بالنشأة الأولى، كما قال تعالى ردًا على**

---

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٧٥/٥٧٦ طبعة الحلبي.

(٢) صحيح مسلم جـ ١٨ ص ٧٦/٧٧ وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٧٧ .

(٣) شرح المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٥٣ .

(٤) الأربعين في أصول الدين ص ٢٩٢ للإمام فخر الدين الرازي - الطبعة الأولى مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٣ هـ.

(٥) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٢ .

منكري البعث: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس :٧٨][(١)].

والقرآن الكريم يصور بعث الناس وخروجهم من قبورهم أبلغ تصوير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ :١٧-٢٠].

ويصور القرآن الكريم البعث وخروج الناس من القبور لله رب العالمين يقول تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس :٥١-٥٤]، هذا إخبار من الله تعالى بأن الأموات بعد النفخة الثانية يبعثون هبًّا من القبور، ويتحسرون متسائلين مَنْ بعثنا من مرقدنا، أي من أهبنا؟ من هبّ من نومه إذا انتبه وأهَبَّهُ غيره، ويجابون بأن هذا ليس بالبعث الذي عرفتموه، وهو بعث النائم من مرقده، حتى يهمكم السؤال على الباعث، إن هذا هو البعث الأكبر، ذو الأهوال والأفزاع، وهو الذي وعده الله في كتبه المُنزَّلة على ألسنة رسله الصادقين [(٢)].

ويقول الله عز وجل مصوِّرًا حالة الناس حين البعث ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر :٦-٨] ويقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية «**كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار**» [(٣)].

ومما اهتم به القرآن الكريم والسنة النبوية ما يسبق البعث من أهوال، تتمثل في زلزلة الأرض، ونسف الجبال، وتكوير الشمس، وتفجير البحار، وتناثر النجوم،

---

(١) وانظر الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني ص ٢٧٢ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم مكتبة الخانجي ١٩٥٠ .

(٢) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٣٢٥/٣٢٦ .

(٣) تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٦٥٤ .

وتبعثر القبور، وغير ذلك من الأحداث التي تقع يوم القيامة. يقول الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة :١-٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٣-١٦][(١)].

ويقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة :١-٨]. يقول صاحب ظلال القرآن: **«إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافًا، وتزلزل زلزالا، وتنفض ما في جوفها نفضًا، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلًا، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال التي حملتها طويلاً، وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت، ويخيل إليهم أنهم يتأرجحون ويترنحون والأرض من تحتهم تهتز وتمور، مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتًا باقيًا»** [(٢)].

ويبلغ تصوير القيامة عند الرسول ﷺ مبلغه حين يشخص لنا يوم القيامة متمثلًا في بعض سور القرآن الكريم، روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سره أن ينظر إلي يوم القيامة كأنه رأيُ عينٍ فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾** [التكوير :١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار :١] و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق :١] وأحسبه أنه قال: **«سورة هود»** [(٣)].

---

(١) ومن السور التي تحدثت عن أهوال يوم القيامة سورة الحج، الطور، الواقعة، المعارج، القيامة، المرسلات، النبأ، النازعات، الغاشية.

(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٩٥٤ - دار الشروق الطبعة العاشرة ١٩٨٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ ٢ ص ٢٧ .

وإن المتأمل في السور الذي ذكرها الرسول ﷺ على أنها تعرض يوم القيامة مشهودًا للناس يجد حقا أنها تصور يوم القيامة بأهوال أحداثه ومشاهده أبلغ تصوير، ولنأخذ سورة التكوير كمثال على ذلك يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير :١-١٤].

يقول الأستاذ سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات: **«هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والتوراة الشاملة لكل موجود، والانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية والوحوش النافرة، والأنعام الأليفة، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور، حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول، وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب»** (١).

ومما تجدر الإشارة إليه إخبار رسول الله ﷺ بما يفعله الله بالسماء والأرض.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»** (٢) وهذا الحديث إشارة إلى ما في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧].

والعلماء على اختلاف، هل قبض السماوات والأرض يقع بعد النفخ في الصور النفخة الثانية أو معه؟ (٣) وأميل إلى أن قبض السماوات والأرض وما يقع في الكون مما أخبر عنه القرآن الكريم من زلزلة الأرض، وتكوير الشمس، ونسف

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٨٣٧ - الطبعة العاشرة.

(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٣ .

(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٣ .

الجبال مما يصاحب النفخة الثانية في الصور، ذلك لأن الآيات التي تحدثت عن ذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة :١٣-١٥].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ :١٨-٢٠] أقول الآيات التي تحدثت عن النفخ في الصور جاء العطف بعدها بالواو، وهي لا تفيد الترتيب، بعكس ثُمَّ التي تفيد الترتيب والتراخي.

وظاهر النصوص القرآنية تفيد أن نسف الجبال وغير ذلك مما يصاحب البعث والنفخ في الصور، ومن الجدير بالذكر أن رسول الله ﷺ هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة حديثًا طويلًا وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل**» [(١)] وللعلماء آراء عدة فيمن استثنى الله عز وجل يوم القيامة، فيذهب الإمام الطبري إلى أنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ويستدل بحديث عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر :٦٨] فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: «**جبريل، وميكائيل، وملك الموت**». وينقل عن قتادة عن الحسن: يُستثنى الله وما يدع أحدًا من أهل السماوات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت. ونفس المعنى يذهب إليه الإمام البغوي في تفسيره إذ ينقل عن الحسن إلا من شاء الله، قال: يبقى الله وحده [(٢)].

وابن حجر في الفتح ينقل اختلاف العلماء فيمن استثناهم الله عز وجل في نفخة

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١١، ٣١٢ .

(٢) تفسير الطبري المجلد الحادي عشر ص ١٨، ٢٢، وانظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل جـ ٣ ص ٤٣١ - الطبعة الأولى - دار المعرفة.

الصعق، ويذكر أن الأقوال عشرة في هذه المسألة، فالبعض يقول إنهم الأموات لكونهم لا إحساس لهم فلا يصعقون. والبعض ذهب إلى أنهم الشهداء، وهذا الرأي يؤيده حديثٌ عن أبي هريرة، وذهب آخرون إلى أنهم الأنبياء، وهذا الرأي شبيه بسالفه الذي يستثني الشهداء لأن الأنبياء أحياء عند ربهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتًا في جميع معانيه إلا في ذهاب الإشعار، وذهب بعض العلماء إلى أنهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ثم يموت الثلاثة، ثم يقول الله لملك الموت: مت. فيموت. وقد استدل الذين ذهبوا إلى أن الذين استثناهم الله الملائكة المشار إليهم بحديث عن أنس، أخرجه البيهقي، ويقر ابن حجر أن هذا سنده ضعيف وله طُرقٌ أخرى عن أنس ضعيفة أيضًا، ويزيد بعض العلماء على الملائكة المشار إليهم حملة العرش، وحجتهم ما رواه أبو هريرة في حديث الصور، وحديث الصور يقول عنه صاحب الفتح: إن سنده ضعيف ومضطرب، وذهب بعض العلماء إلى أنه موسى وحده. هذه هي الآراء المعوّل عليها [١] والتي تستحق أن نرجح بعضها عن بعض[٢].

وبعد هذا الاستعراض نميل إلى أن الذين استثناهم الله عز وجل هم الأنبياء والشهداء، وذلك لصحة الحديث الوارد في الشهداء.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يُصعقوا؟ قال: «**هم شهداء الله عز وجل**». قال صاحب الفتح: صححه الحاكم ورواته ثقات، ورجحه الطبري [٣]، وذهب إليه القرطبي في التذكرة وقال بأنهم الشهداء وهو الصحيح [٤]. ولأن الأنبياء أحياء عند ربهم أيضًا فيلحقون بالشهداء[٥].

---

(١) هناك بعض الآراء تذهب إلى أنهم الولدان الذين في الجنة والحور العين، والنار وما فيها من الحيَّات والعقارب، ويذهب ابن حزم إلى أنهم الملائكة كلهم لأن الملائكة لا أرواح لها، فلا يموتون أصلًا.

(٢) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٢١١، ٢١٢، والتذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٢٠٧، ٢١٠ .

(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٢١٢ .

(٤) التذكرة جـ ١ ص ٢٠٧ .

(٥) فتح الباري جـ ١١ ص ٢١١، ٢١٢ .

ثانيًا: البعث في التصور النصراني

يطلق البعث عند النصارى على القيامة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة القيامة: «**تتضمن القيامة بحسب تعاليم الكتاب المقدس، قيامة الأجساد، وتغير هذه الأجساد، وبقاؤها إلى الأبد**» (١). ويفرق قاموس الكتاب المقدس بين القيامة عند النصارى بالمعنى المتقدم وبين بعض العقائد المشابهة للبعث لدى غيرهم من الأمم كالمصريين واليونانيين، فيذكر قاموس الكتاب المقدس أن قيامة الأجساد عند النصارى تختلف «**عن عقيدة المصريين القدماء التي تقول بأن الـ «باء» أو الشخصية الهيولية للإنسان الميت كانت تقوم بزيارة جسم المحنَّط من وقت إلى آخر**، ويختلف هذا التعليم - قيامة الأجسام عند النصارى - عن الرأي الذي قال به الفيلسوف اليوناني «**أفلاطون**» أن النفس هي الخالدة فحسب» (٢) ويواصل قاموس الكتاب المقدس تفريقه بين القيامة العامة عند النصارى، والتي تتمثل في قيامة الأجساد المشار إليها سابقًا، والتي تشمل جميع البشر، وتكون في آخر الزمان، وبين بعض الأفراد الذين قاموا بعد الموت، وورد ذكرهم في الكتاب المقدس، ويذكر الكتاب المقدس أن قيامة الأجساد «**تختلف أيضًا عن القيامة والعودة إلى الأرض المألوفة كما حدث في قيامة ابن أرملة نابين** (٣) **وكما حدث في قيامة لعاذر**» (٤).

ويواصل قاموس الكتاب المقدس حديثه عن القيامة العامة فيذكر أن السيد المسيح علَّم بوضوح «**أن الموتى سيقومون، ولقد نقض حجة الصدوقيين الذين كانوا ينكرون القيامة من أساسها**» (٥).

ويربط قاموس الكتاب المقدس بين قيامة الأجساد، وبين الحساب والجزاء

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ .
(٢) نفسه. (٣) لوقا: ٧/ ١١/ ١٧ .
(٤) إنجيل يوحنا ١١: ١/٤٤، وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٠ .

obeikandl.com

للأبرار والأشرار فيقول: «وكثيرا ما نرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطًا بتعليمه عن الدنيوية النهائية [١] ولقد علَّم الرسل أيضًا أن القيامة العامة التي فيها يقوم الأبرار والخطاء عند الدينونة الأخيرة» [٢].

مقدمات البعث عند النصارى:

من مقدمات البعث عند النصارى البوق وهو عبارة عن «آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا ينفخون فيها في الأعياد، وعند إعطاء علامة الحرب وما أشبه، وكانت أبواق الكهنة من الفضة، وسيعلن البوق مجيء المسيح الثاني [٣]، وكذلك يعلن قيامة الأموات»[٤].

ورد في رسالة كورنثوس الأولى قول بولس في الربط بين البوق والبعث: «هو ذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا، ولكننا نتغير في لحظة من طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير» [٥]. وهذا النص يربط بين البوق والبعث، ويعتبر النصارى أن «عقيدة قيامة الأجساد من أخص العقائد المسيحية، لأنها إذا انتفت ينتفي معها الخلاص المسيحي [٦] كما يقول الأنبا يؤانس، ونلاحظ أن النصارى تربط ربطًا بين البعث والخلاص المسيحي، ولسنا في معرض مناقشة هذا الربط فما يهمنا هنا هو تصوير عقيدة النصارى في البعث، ثم المقارنة بينها وبين عقيدة البعث في الإسلام.

يقول ميخائيل مينا: «لم تدع النصوص الإلهية أقل ريب في نفوس المؤمنين من جهة قيامة الأجساد للحساب والدينونة بل تكلمت عنها بإيضاح وافٍ وصراحة مستفيضة[٧].

وإنني أتساءل: كيف يتناسب قول ميخائيل مينا في هذا النص مع نصٍّ ورد في الصفحة التالية لنصه السابق، يقرر فيه ميخائيل مينا أن كلام الكتاب عن قيامة

---

(١) إنجيل متى ١١ - ٢٢، ١٢ : ٤٤، ٢٥: ٣١ / ٤٦ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥ .
(٣) متى ٢٤: ٣١ .
(٤) قاموس المقدس ص ١٩٥ .
(٥) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ - ٥٢ .
(٦) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٥ .
(٧) علم اللاهوت جـ ٢ ص ١٣٨ .

الأجساد غير مستوفٍ، يقول: «**إن إقامة الموتى الذين تطورت أجسادهم بهذه الحال - من آدم إلى آخر إنسان يموت - هي بلا شك أسرار يعجز العقل البشري عن فهمها عجزًا كاملاً ليس لسموها في نفسها فقط، بل لأن كلام الكتاب فيها غير مستوفٍ**» [١] في النص الأول يثبت أن قيامة الأجساد تحدثت عنها النصوص الإلهية بإيضاح وافٍ وصراحةٍ مستفيضةٍ، وفي النص الثاني يذكر أن كلام الكتاب عن قيامة الأجساد غير مستوفٍ، فضلًا عن عجز العقل البشري أن يفهمها. فهل النصوص الإلهية الواضحة في النص الأول غير كلام الكتاب غير الوافي في النص الثاني؟ لا أعتقد، إذ إن المصدر واحد، ولا فرق فيما أرى بين النصوص الإلهية وكلام الكتاب، وربما كان النص المعوَّل عليه هو النص الثاني الذي يقول فيه المؤلف بأن كلام الكتاب غير مستوفٍ عن قيامة الأجساد، وهذا الرأي هو ما يذهب إليه النصارى أنفسهم من أن العهد الجديد «**لم يقل إلا قليلا لإشباع رغبة حب الاستطلاع، والوقوف على وصف تفصيلي مسهب للعالم الآخر**» [٢].

وهذا ما يعبر عن الواقع الموجود في العهد الجديد إذ إننا نستطيع أن نؤكد بدون تجاوز للحقيقة أن ما ورد عن البعث والقيامة في الأناجيل المعتمدة [٣]، وأعمال الرسل لدى النصارى لا يعادل ما جاء في سورة الانفطار والتكوير والانشقاق في القرآن الكريم، هذا عن العهد الجديد، أما العهد القديم الذي يقدسه النصارى فإن الأنبا يؤانس يقول إن ما ورد «**في العهد القديم إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات**» [٤].

ويذكر صاحب كتاب تراث العالم القديم في معرض حديثه عن البعث عند

(١) نفسه جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٢) أديان العالم: حبيب سعد ص ٢٤٨ - دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.

(٣) أقول «المعتمدة» لأن ما ورد في إنجيل برنابا قريب جدًّا مما ورد في القرآن الكريم من ناحية الحقائق - وشيء في التفصيل يختلف عن الأناجيل الموجودة لدى النصارى الآن - انظر إنجيل برنابا الفصل الثاني والخمسون إلى الثالث والستين ص ٨١، ٩٦ .

(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ٩٣ بتصرف يسير جدًّا.

اليهود «**أن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة، وعندما تأصل الاعتقاد بين اليهود كان في صورةٍ تتميز بأنها يهودية وفي اتحاد وثيق مع الانتظار القومي للملكوت**» [٢].

وسنواصل استعراض النصوص التي تتحدث عن البعث في العهدين القديم والجديد لنصور اعتقاد النصارى في البعث كواقعة من واقعات يوم القيامة.

البعث في العهد القديم:

يذكر الأنبا يؤانس أن «**في العهد القديم نجد إشارات عابرة عن القيامة من بين الأموات كما نجد براهين عملية على هذه الحقيقة**» [٣].

ويستدل الأنبا يؤانس بنصوص من سفرى أشعياء ودانيال، وسوف نتعرض لهذين النصين لنتبين هل هما يشيران إلى البعث الأخروي أم يشيران إلى البعث القومي لليهود واستقرارهم السياسي؟ كما يذهب إلى ذلك بعض النصارى. ورد في سفر أشعياء «**تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب**» [٤].

وبالرجوع إلى السنن القويم في تفسير العهد القديم نجد أن النص لا يشير إلى القيامة في الآخرة، ولكن يشير إلى بعث اليهود بعد السبي. ورد في تفسير النص السابق «**أن أعداد اليهود أخيلة لا تقوم، ولكن الرب قال لشعب اليهود: تحيا أمواتك، كانت اليهود في بابل في مدة السبي في الذل فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات، فقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم ثانية**» أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة الجديدة [٥].

وواضح أن تفسير النص يخرجه عن المراد منه أي البعث الأخروي إلى البعث

---

(١) سنناقش هذا بالتفصيل عند حديثنا عن البعث عند اليهود، ونرجح ما نراه إن شاء الله.

(٢) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ المؤلفة د.ج دي بورج ترجمة زكي موسى مراجعة الدكتور يحيى الخشاب الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .

(٣) السماء للأنباء يؤانس ص ٩٩ . (٤) أشعياء ١٩/٢٦ .

(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٨ ص ١٨٧/١٨٦ .

القومي لليهود، ونفس التفسير لنص أشعياء يذهب إليه «ناشد حنا» في تفسيره لسفر أشعياء [١]. ونص أشعياء - الذي استدل به الأنبا يؤانس على البعث الأخروي، وصاحب السنن القويم، وناشد حنا على البعث القومي - يفسره بعض الباحثين على أنه إشارة إلى مجيء الإسلام [٢]: وإن كنت أوافق الأنبا يؤانس فيما ذهب إليه من دلالة النص على البعث الأخروي، إذ إن نص أشعياء فيه إشارة إلى الحياة بعد الموت، وإقامة الأجساد والحياة بعد الموت، وقيامة الأجساد تتعلق بالبعث الأخروي، وتفسيرها بالبعث القومي السياسي لليهود ربما كان نَوْعًا من التحريف الذي تعرضت له النصوص الأصلية.

والذي دعاني إلى ذكر التفسيرات المختلفة لدى النصارى لنص أشعياء هو بيان عدم الصراحة التامة التي زعمها ميخائيل مينا لإشارات الكتاب المقدس عن البعث كما سبق ورددنا عليه. أما نص دانيال الذي ذهب الأنبا يؤانس إلى أنه إشارة إلى البعث الأخروي: «**وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدي**» [٣] فهذا النص مختلف حول دلالته على البعث الأخروي فمن النصارى من يرى، النص يشير إلى البعث الأخروي، ومنهم من يصرفه عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي.

يقول ناشد حنا في تعليقه على نص دانيال: (وقد أُخذت الآية أيضًا على أنها قيامة أموات حرفية، وأنها قيامة عامة لبعض يذهبون إلى الحياة الأبدية والبعض الآخر إلى جهنم، لكن المقصود هنا بالراقدين في تراب الأرض اليهود المشتَّتون، الآن، سيجمعهم الرب، بعضهم يرجع رجوعًا قوميًا وروحيًا، فهؤلاء إلى الحياة والأبدية أي الملك الألفي» [٤]. وكما نرى فإن ناشد حنا يعرض الاختلاف حول نص دانيال، ويرجح القول الذي يذهب بأن البعث هنا إشارة إلى العودة السياسية لليهود.

---

(١) انظر أشعياء مفصَّلا آية آية تأليف حنا ص ٢٤٤ .

(٢) يقظة أولى الاعتبار صديق حسن خان. تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ص ٢٥ للمحقق.

(٣) دانيال ١٢ - ٦ .

(٤) أشعياء مفصَّلا آية آية جـ ١ ص ٢٤٥ .

وإذا كنا قد رجحنا نص أشعياء في الدلالة على البعث الأخروي لا القومي لليهود مخالفين صاحب السنن القويم، وناشد حنا فيما ذهب إليه، فإننا نرى أن نص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروي، ونستأنس بما ذهب إليه النصارى في هذا الصدد، فضلاً عن أن النص بظاهره لا يشير إلى البعث الأخروي، وذلك «**بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعًا، بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون، وإذا كانت اليقظة غير عامة شاملة فليست بعثًا لليوم الآخر**» [١] وسوف يكون لنا رأي في نص دانيال نرجئه عند الحديث عن البعث عند اليهود وأكتفي بهذا القدر من استدلال النصارى على البعث في العهد القديم، لأن للبعث عند اليهود مبحثًا خاصًا....

البعث في العهد الجديد:

ورد في إنجيل متى محاورة بين المسيح والصدوقيين [٢] الذين ينكرون البعث: «**وأما من جهة قيام الأموات أفما قرأتم من قبل ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم وإله إسحاق، وإله يعقوب. ليس الله إله أموات، بل إله أحياء. فلما سمع الجموع بهتوا من تعاليمه**» [٣]. يقول بنيامين بنكرتن مفسر إنجيل متى: «**عاد الرب فأثبت حقيقة القيامة، وأظهر أنها من الإعلانات القديمة، ومن أصول إيمانهم كنسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب بزمان طويل، قال الله لموسى: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب**»[٤] ويستدل المفسر بما ورد في متى أنا إله إبراهيم وإله إسحاق ويعقوب بأن ذلك دليل على أنهم أحياء، يقول: «**لو كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب قد كفوا بالموت عن الوجود لما كان من الأمور اللائقة بالله أن يقول لموسى أنا إلههم، لأنه ليس إله غير الموجودين، كان يمكن أن يقول أنا كنت إلههم. فإذن الوقت وانحلال الجسم الثاني لم يقطع العلاقة الكائنة بين الله وبينهم، وهذه العلاقة نفسها توجب إقامتهم، لأن الموت**

---

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ ٢ ص ٢٤٣ تأليف أحمد عبد الغفور الطبعة الأولى – مكة المكرمة.

(٢) الصدوقيون فرقة من فرق اليهود تنكر البعث والقيامة، وكانت تجادل السيد المسيح في ذلك.

(٣) إنجيل متى ٢٢-٣١/٣٣ .

(٤) تفسير إنجيل متى بنيامين بنكرتن ص ٣٨٠ .

مرحلة استثنائية دخيلة على الإنسان، لأن الله خلقه جسدًا ونفسًا وروحًا، ومن ثم فلا بد أن يقيم الجسد حتى يكون مقدسوه أمامه إلى الأبد» [١] ونلاحظ أن مفسر الإنجيل يثبت البعث لدى النصارى، ويدلل عليه بأن الله إله أحياء، فلا بد أن يحيى الأجساد بعد الموت حتى يجازي الصالحين منهم.

ورد عن البعث ومقدماته في إنجيل متى ما نصه: **«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، فحينئذ تفوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثيرة، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصائها»** [٢] وهذا النص الوارد في إنجيل متى يبين البعث ومقدماته، وكيف الشمس تظلم، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماوات تتزعزع، ويأتي المسيح ليجمع المختارين من أقصاء السماوات إلى أقصائها. ونلاحظ في النص أن جميع قبائل الأرض تنوح، وأن المختارين هم الذين يكونون مع المسيح.

وورد في إنجيل مرقس النص التالي: **«وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السماوات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحاب بقوة كثيرة ومجد فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء»** [٣].

ونلاحظ أن ما ورد في إنجيل مرقس يتفق مع ما أورده إنجيل متى في أن ابن الإنسان يرسل ملائكته ليجمعوا مختاريه بعد أن تنوح جميع قبائل الأرض.

وورد في إنجيل يوحنا: **«لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات**

---

(١) نفسه ص ٣٨٠ / ٣٨١ .

(٢) متى ٢٤ - ٣١/٢٩ .

(٣) مرقس ١٣: ٢٨/١٤ .

إلى قيامة الدينونة» [١].. ويعلق صاحب كتاب **«إيماننا الحي»** على نص يوحنا بقوله: **«سوف يسمع الأبرار نداء الرب بفرح لا يوصف، أما الأشرار فبعثر بهم الرعب، وتتحد أجساد الموتى عند القيامة بنفوسها، فيظهر الخاطئون في صورة قبيحة ينعكس فيها بأسهم وخبثهم، أما الأبرار فتتجلى أجسادهم بمجد يشبه مجد ابن الله المتجلي»** [٢]. ولسنا في مجال مناقشة النصارى في اعتقادهم بنوة المسيح لله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا [٣].

ونكتفي بهذا القدر من الاستدلال على واقعة البعث من الأناجيل، وننتقل إلى رسائل بولس، لنجد أن فكرة البعث والقيامة احتلت مكانًا بارزًا في رسائله إلى الكنائس المختلفة في ذلك الوقت. ورد في رسالة **«كورنثوس الأولى»**:

«فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير، لأن هذا الفساد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت» [٤]. ونص بولس يربط بين النفخ في الصور وقيامة الأموات وتغير أجسادهم ليتسنى لهم دخول الملكوت. وورد في الرسالة الثانية لكورنثوس قول بولس: **«الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضًا معه»** [٥]. وهنا يربط بولس بين قيامة المسيح وقيامة النصارى في الآخرة. وورد في سفر أعمال الرسل قول بولس: **«إنه سوف تكون القيامة للأبرار والأثمة»** [٦]، ونص بولس يوضح أن القيامة سوف تكون للأبرار والأشرار معًا، ويورد صاحب دينونة البشر العامة نصوصًا من الأناجيل [٧] عن القيامة والبعث، ويحيل إلى غيرها، يقول: **«إن القيامة حقيقة راسخة تؤيدها البراهين الكتابية»** [٨]. ويعتبر الأنبا يؤانس أن **«أروع ما كتب عن حقيقة قيامة**

---

(١) إنجيل يوحنا ٥ - ٢٨ .

(٢) إيماننا الحي ص ٥٢٧ .

(٣) انظر في تفنيد حجج النصارى في ادعاء بنوة المسيح لله، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ٢ ص ٢٦٦/ ٣٥٠ مكتبة المدني.

(٤) رسالة كورنثوس الأولى ١٥-٥٢/٥٣ .

(٥) رسالة كورنثوس الثانية ١ - ٩ .

(٦) أعمال الرسل ١٥/٢٤ .

(٧) يوحنا ٥: ٢٨، متى ٢٢: ٢٥/٢٦: ٣٤ .

(٨) دينونة البشر العامة ص ٤١ .

الأجساد في العهد الجديد ما دونه معلمنا القديس بولس الرسول في إصحاح بأكمله هو الإصحاح الخامس عشر في رسالته إلى كنيسة كورنثوس» [١].

وورد في الإصحاح المشار إليه قول بولس: **«ولكن إن كان المسيح يكرز إليه أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أنه ليس قيامة أموات، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، فباطل كرازتنا وباطل أيضًا إيمانكم»** [٢]. والذي يقرأ الإصحاح السابق يجد أن ما ورد فيه من عبارات يختلف في أسلوبه عما ورد في سائر الأناجيل، وعن سائر رسائل «بولس» نفسه، لأنه في هذا الإصحاح كان يستخدم العقل تارة، ويضرب الأمثلة تارة أخرى، وليبرهن على البعث وحقيقته، ولعل السبب في ذلك كما يقول الأنبا يؤانس أن **«معالجة الرسول بولس لهذا الموضوع في رسالة إلى كنيسة في بلاد اليونان مهد الفلسفة، وهي كنيسة كورنثوس كان بلا شك ردًا على تأثيرات كل من الفلسفة الرواقية والأبيقورية»** [٣]، التي أنكرت قيامة الأجساد التي انتشرت في تلك البلاد [٤].

وبعد هذا العرض للنصوص التي تثبت البعث من الأناجيل، وأعمال الرسل نستطيع أن نقرر أوجه الاتفاق، وأوجه الاختلاف بين التصور الإسلامي للبعث والتصور النصراني.

أولًا: أوجه الاتفاق:

١- نستطيع أن نؤكد بعد عرضنا للبعث في التصور الإسلامي، والتصور

---

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٣ .

(٢) رسالة كورنثوس الأولى ١٥ - ١٥/١٣ .

(٣) نلاحظ أن الأنبا يؤانس يؤكد على رد بولس على الفلسفات المنتشرة في ذلك الوقت في بلاد اليونان، ويذهب كثير من الباحثين في تاريخ الأديان وعلى رأسهم شارل جنيبير إلى أن بولس تأثر بهذه الفلسفات، وأن المسيحية لم تعرف كثيرًا من الأشياء إلا عن طريق تأثر بولس بهذه الفلسفات انظر في ذلك المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جنيبير ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٨٨/ ١٠٨.

(٤) السماء للأنبا يؤانس ص ١٠٤/١٠٣ .

النصراني بأن ما جاء في الأناجيل يتصل في أصل الفكرة مع ما جاء في الإسلام[١] مع اعتبار التفصيلات في التصور الإسلامي عن التصور النصراني.

٢- أن مقدمات البعث من زلزلة الأرض، وتساقط النجوم مما يشترك فيه التصور النصراني مع التصور الإسلامي، ويتضح ذلك التوافق في البوق الذي يُنفخ فيه لجمع الناس في التصور النصراني، الذي يقابله الصور في التصور الإسلامي، وحين نقرر أوجه الاتفاق بين التصور الإسلامي والتصور النصراني للبعث نقرر أيضًا أن مصدر هذا التوافق هو أن للنصرانية أصلًا سماويًّا انحرفت عنه بعد رفع الله للمسيح عليه السلام.

ثانيًا: أوجه الاختلاف:

١- نلاحظ أن الأناجيل لم تتحدث عن البعث كواقعة بنصوص كافية، وهذا هو الملاحظ في الأناجيل وأعمال الرسل، وما يقرره أيضًا علماء النصارى الذين عرضنا آراءهم عند حديثنا عن البعث في التصور النصراني.

٢ - لم تقدم الأناجيل أي صورة عن خروج الناس من القبور للقيامة، بعكس القرآن الكريم الذي صور في كثير من آياته أحوال الناس وصورتهم أثناء بعثهم، وهناك جزئيات لم تتحدث عنها الأناجيل، وتعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية. ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن الاختلاف بين النصرانية والإسلام في اليوم الآخر دقيق وكثير، ويبرهن على أن اليوم الآخر في الإسلام يأتي من مصدره الأصيل، ألا وهو الوحي، وأنه ليس تابعًا لمصدر آخر وليس منقولًا عن الأناجيل للاختلاف البيِّن في صورته، ولأن نبي الإسلام لم يطلع على الأناجيل، فهي لم تكن مترجمة إلى العربية كما هو ثابت، ونبي الإسلام لم يكن يعرف العبرية أو

(١) انظر الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي ص ٢٠٦ وانظر صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبي ص ٧٠/٧١/٧٢ في هذا الكتاب يُفنِّد مزاعم أحد المستشرقين من اليهود الألمان، الذين يزعمون أن الرسول تأثر في فكرة البعث والجزاء باليهودية والمسيحية - نشر مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨ .

السريانية أو اليونانية حتى يزعم زاعم أنه اطلع عليها في إحدى هذه اللغات، وهذا الاختلاف بين البعث في الإسلام والبعث في النصرانية يبطل زعم المستشرقين الذين يزعمون أن فكرة البعث والجزاء أخذها الرسول ﷺ عن المسيحية أو اليهودية.

ثالثًا: البعث في التصور اليهودي

من الحقائق المعروفة لدى المسلمين أن الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام التوراة فيها هدى ونور يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة :٤٤] ومعلوم أن هذه التوراة قد اشتملت على التعاليم التي أرادها الله من بني إسرائيل سواء كانت متعلقة بالعقيدة أو بالشريعة.

لقد اشتملت التوراة على العقائد والشرائع [١] ومن ضمن أمور العقيدة التي وردت في التوراة «اليوم الآخر» وتفصيلاته المختلفة، يقول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف :١٤٥].

وسواء أكانت التوراة هي الألواح أم كانت الألواح مغايرة للتوراة [٢]، فموسى عليه السلام أوحى الله تعالى له تفصيلًا لكل الأشياء، سواء في التوراة أم في الألواح. ومن ضمن الأشياء التي فصلها الله تعالى لموسى عليه السلام اليوم الآخر بتفصيلاته المختلفة من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وغيرها، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام :١٥٤].

ولكن بالتأمل في أسفار موسى الخمسة الحالية، والتي يطلق عليها اليهود اسم

---

(١) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٩٦ .

(٢) يذهب جمهور العلماء إلى أن التوراة هي الألواح ومن جمهور العلماء: الجلالان السيوطي والمحلى، وابن كثير انظر الآراء في ذلك في كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٩٩ - ١٠٠ .

التوراة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والنار. يقول الدكتور «دراز»: لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أية إشارة في أي مكان إلى حياةٍ بعد الموت، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان في أديانهم» [١].

ووجدنا «ابن كمونة» اليهودي في كتابه «تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث» يعترف بخلو التوراة من البعث، والثواب والعقاب الأخرويين، ويدافع عن خلو التوراة من البعث ويعلل ذلك بتعليلات سنتعرض لها عند الحديث عن ذلك.

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى على حد قولهم، وجدنا أن هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء، وبدراسة هذه النصوص وجدنا أنها مختلف حولها، فالبعض [٢] يذهب إلى أن المقصود بها العودة القومية لليهود، وانتصارهم على أعدائهم، والبعض الآخر[٣] يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها البعث الأخروي، ولكن اليهود تأثروا في عصورهم المتأخرة بالبعث من الديانة الفارسية والبابلية بعد عودتهم من السبي، وتوجد بعض النصوص من التي عثرت عليها من التلمود [٤] والمشناة تشير إلى البعث، والحساب، والجزاء في الآخرة.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص ٢٨ الدكتور محمد عبد الله دراز ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - دار البحوث العلمية - بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م.

(٢) منهم على سبيل المثال صاحب كتاب - تراث العالم القديم و . ح دي بورج ص ٩٩، ومنهم ناشد حنا في تفسيره لسفر أشعياء. ومنهم صاحب الغصن القويم في تفسير العهد القديم. ومنهم صاحب كتاب الديانات والعقائد في مختلف العصور، ومنهم مؤلف الكتاب المقدس وإن كان الذين ذكرنا أسماءهم أو أسماء كتبهم من غير اليهود إلا أننا نستأنس بآرائهم، ولا يلزمنا أن نأخذ باتجاهاتهم في التفسير لنصوص البعث في أسفار الأنبياء.

(٣) من هؤلاء على سبيل المثال صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابي، صاحب كتاب الفكر الإسلامي أطواره ومذاهبه، اليهود تاريخًا وعقيدة، ومفصل العرب، واليهود في التاريخ، قصة الحضارة لديورانت.

(٤) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٤٩ .

وبعض المصادر التي عثرت عليها العلماء من اليهود تتحدث عن اليوم الآخر، وأن اليهود يعتقدون في البعث والجزاء وأن عقيدة البعث عقيدة أساسية عند أمة اليهود، وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية - وأعني بها أسفار موسى الخمسة - عن البعث ووجود بعض الإشارات عن الآخرة في أسفار الأنبياء المتأخرين، وبعض نصوص التلمود وأقوال اليهود واعتقادهم في البعث بعد الموت؛ رأيت أن أدرس البعث عند اليهود في اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول:

التوراة الحالية وخلوها من الحديث عن البعث والجزاء، وأعني بالتوراة هنا أسفار موسى الخمسة الحالية - كما يسميها اليهود - فهم يطلقون التوراة على أسفار موسى الخمسة فقط، معلقًا على خلو التوراة الحالية من الحديث عن اليوم الآخر وما السبب في ذلك؟

الاتجاه الثاني:

عرض الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتأخرين ودراسة ما قيل حولها.

الاتجاه الثالث:

عرض عبارات التلمود وشراح العقائد اليهودية، وبيان توافقهم واختلافهم عن التوراة وأسفار الأنبياء، وأسجل العذر في البداية من قلة المصادر اليهودية التي عثرت عليها، ورجعت إليها، وذلك لأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج بني جنسهم، لاعتقادهم هم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار.

ثم التعقيب على هذه الاتجاهات، والحكم عليها من خلال الاحتكام إلى القرآن الكريم باعتباره المهيمن على ما سبقه من الكتب، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة :٤٨].

الاتجاه الأول: خلو التوراة من البعث والجزاء:

يقصد بالتوراة هنا ما يقصده اليهود **«فقد اصطلح الإسرائيليون على تسمية أسفار موسى الخمسة باسم التوراة المكتوبة، وتسمية التلمود باسم التوراة الشفاهية أو المنقولة»**[١].

وخلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء كان مثارًا للطعن فيها، والجدل حولها، ورد في كتاب تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة تحت عنوان الاعتراض الخامس ما نصه:

«إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع. فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك، والعدول عنه إلى الدنيويين الذين قد أكثر من ذكرهم في التوراة، فإن الدنيا زائلة ولا اعتداد بنعيمها ولا شقائها» [٢].

هذا جزء من الاعتراض الذي وُجه للتوراة أثناء مجادلة ابن كمونة اليهودي، ويرد ابن كمونة على هذا الاعتراض قائلًا: **«إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى»** يقصد البعث والجزاء، **«وخاطب به بني إسرائيل واستفاض فيهم، فإن قيل: فلم لم يكتبه في التوراة مصرحًا؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، بل ربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها»** [٣].

ثم يشرح خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء بقوله: **«إن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم، وكما أن طبيب الأبدان إنما يعالج على حسب ما يجده في زمانه، وأهل زمان موسى لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها، بل كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها، وبالجملة عبادة غير الله تعالى، واعتقادهم أن بعبادتهم**

---

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٢، ٣.

(٢) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص ٤٠ لصديق منصور بن كمونة اليهودي. الناشر دار الأنصار.

(٣) نفسه ص ٤٠ .

وتقريب القرابين لها تعمر الأرض، وتخصب البلاد، وتصح ثمار الأشجار، كان علماؤهم ونُسَّاكهم وأهل التقوى منهم يعظون الناس، ويعلمونهم أن الفلاحة التي بها قوام وجود الإنسان إنما تتم وتجيء على الاختيار، بأن تعبدوا الشمس والكواكب، وإن سخَّطُموها بعصيانكم أقفرت البلاد وخربت، وقالوا في كتبهم التي ذكرناها: إن المشتري سخط على البراري والصحارى؛ ولذلك صارت عادمة الماء وعادمة الأشجار يأويها الغيلان، وكانوا يعظمون الفلاحين والأكارين جدًا لاشتغالهم بعمارة الأرض التي هي من إرادة الكواكب»[١].

ويحكي ابن كمونة عن الصابئة أنهم كانوا يذكرون في كتبهم أن **«الحكماء القدماء كلهم، والأنبياء قد فرضوا أن يضرب بالآلات في الأعياد، وبين أيدي الأصنام، وأن الآلهة يعجبها ذلك، وأنها تكافئ فاعليه أحسن مكافأة، وأكثروا في هذا الفصل من الوعد والوعيد على ذلك من تطويل الأعمار، ودفع الآفات، وصرف العاهات، وخصب المزارع، وزكاة الثمار، فلما شهرت هذه الآيات حتى ظنت يقينًا، وأراد الله «تع»** [٢] رحمة منه محو هذا الغلط من الأذهان، ورفع هذا التعب عن الأجساد، بتعطيل تلك الأعمال الشاقة الغير مفيدة، أخبر على لسان رسوله موسى **«عم»** [٣] أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام انقطع المطر، وخربت الأرض فلم تنبت شيئًا، وسقطت ثمار الأشجار وحلت الآفات والعاهات بالأجسام، وقصرت الأعمار؛ وبالإقبال على عبادة الله **«تع»** تنزل الأمطار، وتخصب الأرض، وتصلح الأحوال، ويصح الجسم وتطول الأعمار، وكرر هذا الوعد والوعيد في عدة مواضع من التوراة؛ ليزول ذلك الرأي وينمحي أثره من النفوس»[٤].

ويبين **«ابن كمونة»** أن سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة

---

(١) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة ص ٤٠ .
(٢) لعلها «تعالى» وقد نقلت النص بحرفيته.
(٣) لعلها عليه السلام.
(٤) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص ٤١ .

بني إسرائيل بهذه العقيدة؛ ولذلك لا تحتاج إلى تكرار. يقول: «**ولو كان مرضهم إنكار البقاء الأبدي للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكان قد كرر ذكره في التوراة للتأكيد والتقرير، ولمَّا لم يكن الأمر كذلك اقتنع باستفاضته بين الأمة والتعريض به، ولهذا كانت اليهود معتقدة ومقرة بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعد موت الأجسام، وتناقلوا ذلك سلفًا عن خلف** [١] **وترحموا على موتاهم وأذعنوا بالتوبة عند ظنهم حلول الأجل**» [٢].

ويذكر ابن كمونة تأكيدًا لعقيدة البعث عند اليهود أنهم «**قد أوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الموتى في الصلاة وغير الصلاة وعند اجتيازهم بمقابر أمتهم**» [٣].

والنص الذي نقلناه عن ابن كمونة يبرز أمرين:

الأمر الأول:

أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب، وذلك راجع إلى أن بني إسرائيل كانوا على علم بالبعث والجزاء قبل موسى عليه السلام، فلم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه، وإنما جاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

الأمر الثاني:

أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لا يعني أن اليهود ينكرون البعث، فهم يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلوا ذلك خلفًا عن سلف، كما يقول ابن كمونة، وإن خلو التوراة «**أي أسفار موسى الخمسة**» من الحديث عن البعث والجزاء جعل كثيرًا من الباحثين [٤] يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والعقاب في الآخرة، وهذا يغاير الواقع

(١) لعلها خلفًا عن سلف حتى يستقيم المعنى.

(٢) نفسه ص ٤٢ . (٣) تنقيح الأبحاث ص ٤٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ وانظر الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١١١، ١١٢ - وانظر أديان العالم: حبيب سعيد ص ١٩٤ - ١٩٥، الفصل في الملل والنحل لابن حزم جـ ٢ ص ٨٦، وفصل العرب واليهود في التاريخ ص ٥٤٥ - وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٨٨- ١١٩، وقصة الأديان للدكتور رفقي زاهر ص ٣٠٩، ٣١٠ - واليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٦١ - اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص ١٩٥ .

الذي يصرح به اليهود، ويكون كلام الباحثين موافقًا للحقيقة وإذا قصدوا أن توراة موسى الحالية خالية عن البعث والجزاء؛ لأن اليهود يقرون بذلك ويقدمون أسبابًا لخلو التوراة من الحديث عن الآخرة، كما ورد في نص ابن كمونة وهم يعترفون **«بأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين»** (١).

ولأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي يستقي اليهود عقائدهم منها، وقبل أن نبين السبب الحقيقي في خلو التوراة الحالية عن البعث والجزاء، ونرد على ابن كمونة في زعمه بأن سبب خلو التوراة من البعث، هو الإيمان السابق به، فلا حاجة للتكرار؛ بأن نقول: إن المسائل الغيبية - بخاصة فيما يتعلق بالبعث والجزاء والجنة والنار - لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال الوحي المنزل، والمتمثل في النصوص المكتوبة التي يرجع إليها، خاصة وأن الناس دائمًا عرضة للسهو والنسيان، فلا تترك أمور كعقائد الآخرة لتعليمها للناس، ثم إن التكرار في المسائل السمعية مهم جدًّا وضروري لاستمرار الإيمان، خاصة في تلك العقائد التي تتحدث عن أمور لا يشاهدها الناس ولا يخبرون عنها ممن سبقوهم، وتكرار أمر من الأمور يدل على أهميته، وعدم استغناء البشر عنه، خاصة في أمور عقيدة الآخرة التي توجه حياة الناس، ولما كانت الآخرة بهذه المنزلة فإنه من غير المعقول ألا تشتمل التوراة عليها، والحديث عنها، ويتبين لنا أن خلو التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران :٩٣].

والدليل على التحريف الذي لحق بالتوراة من بعد موسى - أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية، تتعلق بالأصل الذي نبحثه، وهو البعث والجزاء. يقول الدكتور السقا: **«إن موسى عليه السلام سلّم التوراة التي أنزلها الله عليه إلى بني إسرائيل، وكان موسى نحو ١٥٧١ ق. م وفي مدينة بابل بالعراق - من بعد سنة ٥٨٦ هـ**

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩، ٩١ ترجمة عن العبرانية وشرحه د/ شمعون يوسف مويال - مطبعة العرب ١٩٠٩ - دار الكتب المصرية تحت رقم (١) - لاهوت.

- غير علماء بني إسرائيل نصوصًا من التوراة التي أنزلها الله على موسى . ومن هذه النصوص التي غيروها ، النص على يوم القيامة ، ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها لهم «عزير» في بابل اختلفوا على عاصمة الدولة أورشليم أم شكيم؟ واختلفوا على الجبل المقدس صهيون أم جرزيم؟ ولما لم يتفقوا انقسموا إلى فريقين:

السامريين في شكيم، ويقدسون جرزيم، ويتجهون إليه في الصلاة.

والعبرانيين في أورشليم، ويقدسون صهيون، ويتجهون إليه في الصلاة [١]، وابن حزم في الفصل يذكر أن **«بأيدي السامرية توراة غير التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة ، وسائر اليهود يقولون : إن التي بأيدي السامرية محرفة مبدلة»** [٢]، ولا يعلق ابن حزم على التوراة السامرية وما فيها لعدم اطلاعه عليها يقول: **«ولم يقع إلينا توراة السامرية ؛ لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلًا»** [٣] ولكن إن كانت التوراة السامرية لم تصل إلى ابن حزم فقد اكْتُشِفَتْ هذه التوراة أخيرًا، وترجمت إلى اللغة العربية، ومن الاختلافات التي بينها وبين التوراة العبرية النص على يوم القيامة.

يقول الدكتور السقا **«قد وجدنا التوراة التي بأيدي السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي بأيدي العبرانيين ، ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة ، فهو في التوراة السامرية صريح للغاية ، وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء في الدنيا ، وإما الجزاء في الآخرة»** [٤]، والنص المختلف حوله في التوراة العبرانية هو **«أليس مكنوزًا عندي مختومًا عليه في خزائني ، لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم»** [٥].

---

(١) مقدمة يقظة أولي الاعتبار بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار للشيخ صديق حسن خان ص ٦ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا - الناشر دار التراث الإسلامي بالأزهر.

(٢) الفصل لابن حزم جـ ١ ص ٩٤ .

(٣) نفسه.

(٤) مقدمة يقظة أولى الاعتبار ص ٧ .

(٥) سفر التثنية ٣٢ - ٣٤ - ٣٥ .

وقد رجعت إلى تفسير النص في السنن القويم في تفسير العهد القديم، فوجدت **«النقمة والجزاء»** أي أنا المنتقم والمجازي لا سواي، وقد اقتبس الرسول [١] هذه العبارة في المعنى مع تغيير زهيد في اللفظ بقوله في رسالة العبرانيين **«فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي»**.

يقول الرب ويقوله في رسالة الرومانيين لأنه مكتوب: لي النقمة وأنا أجازي بقول الرب في وقت تزل أقدامهم. وزلة القدم هنا استعارة للخطأ [٢].

ونلاحظ هنا أن النص فسر في التوراة العبرانية على أن المقصود من الانتقام والجزاء في وقت زلة أقدامهم الجزاء في الدنيا لا الآخرة، وإن كنا نقرر أن تفسير صاحب السنن القويم ليس حجة على اليهود؛ إلا أننا نذكر رأيه استئناسًا ليتبين لنا أن النص في التوراة العبرانية ليس صريحًا على يوم القيامة.

أما النص في التوراة السامرية التي يقول اليهود السامريون إنه صريح في الإشارة إلى يوم القيامة فهو **«أليس هو مجموعًا عندي مختومًا في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة، وقت تزل أقدامهم، إذ قريب يوم تعنتهم وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله قومه، وعن عبيده يفصح، إذ يرى إن زلت اليد، وانقرض المحاصر والمطلق، ويقول أين آلهتهم القوية التي استظلوا بها، التي شحوم ذبائحهم يأكلون ويشربون خمر سكبهم تقوم وتعينكم وتكون عليكم سترة، انظروا الآن إنني أنا هو وليس آلهة معي أنا أميت وأحيي، أمرضت وأنا أشفي وليس من يدي مخلص»** [٣].

هذا هو نص التوراة السامرية الذي يقول عنه السامريون: إنه يدل على يوم القيامة.

---

(١) يقصد «بولس» لأن المفسر نصراني، وهو يربط بين ما ورد في العهد الجديد والعهد القديم، لأنه يعتبر هو والنصارى أن المصدر واحد.

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٢ ص ٥٠ الناشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ١٩٧٣ .

(٣) التوراة السامرية - سفر تثنية الاشتراع ٣٤ - ٣٨ .

ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم: «**إن قوله يوم «الانتقام والمكافأة»** يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله، فيجزيهم على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا» (١).

وهذا النص بالرغم من ادعاء السامريين من صراحته على يوم القيامة، إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسى الخمسة، واشتمالها على تفصيلات كثيرة أقل شأنًا بكثير من يوم القيامة، وهذا يدل على أن تلك التوراة - أعني السامرية - محرفة هي الأخرى، أين ذلك النص المختلف حوله على فرض أنه يشير إلى الآخرة في التوراة العبرية مع النص الذي يقول عنه السامريون إنه يدل صراحة على يوم القيامة على فرض صحة ادعائهم، أقول أين هذان النصان من حديث القرآن الكريم عن اليوم الآخر وتفصيلاته التي استوعبت معظم سور القرآن الكريم إلى حد أننا قلما نجد سورة في القرآن الكريم إلا تتحدث عن البعث والجزاء، والجنة وأوصافها، والنار وعذابها.

ونحن نعتقد أن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام كان فيها تفصيل لكل شيء، ومن الأشياء التي أوحى الله بها إلى موسى «**اليوم الآخر**» وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار، باعتبار أن اليوم الآخر أحد الأصول العقائدية في جميع رسالات الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعده، ونجزم أيضًا أن دعوة موسى عليه السلام كان فيها الإنذار بالعذاب في اليوم الآخر، يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه :٤٨]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه :١٤-١٥]، ويقول تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف :١٤٥].

---

(١) التوراة السامرية ص ٣٩٢، ٣٩٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

والذين آمنوا بموسى عليه السلام كان عندهم علم بأمور الآخرة، وما ينتظر الصالحين من ثواب، وما يعاقب به الطالحون من عذاب، يقول الله تعالى عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه :٧٢-٧٦]. والآيات التي تتحدث عن الحوار الذي دار بين الذين آمنوا بموسى وبين فرعون، إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإيمان بالآخرة قد تغلغل في نفوسهم لدرجة أنهم لا يخشون عذاب فرعون وجنوده، وعقيدة الآخرة تلك التي أفصحوا عنها لا بد وأنهم سمعوها من موسى قبل أن يؤمنوا، ورسخت في نفوسهم، بعد أن خالط الإيمان شغاف قلوبهم.

والذي ننتهي إليه بعد عرضنا للاتجاه الأول، وهو خلو أسفار موسى الخمسة من الحديث عن البعث والجزاء هو:

أولاً: أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التدخل البشري على الوحي الأصلي المنزل على موسى عليه السلام، ولا ينفي التحريف البشري على نصوص التوراة قول ابن كمونة: إن اليهود يؤمنون بالبعث والجزاء فلا حاجة لتكراره، لأن الأمور العقائدية وخاصة ما يتعلق منها بالغيبيات لا بد من ذكرها والنص عليها في التوراة، ولأهميتها، فلا بد من تكرارها إذ إن التكرار إنما يكون للاهتمام بها والتأكيد عليها.

ثانيًا: خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة من الحديث عن الآخرة، وعقيدة اليهود في البعث والجزاء. إذ إن خلو التوراة الحالية عن البعث لا يعني أن اليهود لا يعترفون بالآخرة وثوابها وعقابها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لأن التوراة ليست هي المصدر الوحيد الذي تؤخذ عقائد اليهود

منه، إذ هناك التعاليم الشفوية، كالتلمود وأسفار الأنبياء المتأخرين والتي يرجع إليهما اليهود في عقائدهم وشرائعهم.

الاتجاه الثاني: الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث:

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة، وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى نجد أن هناك إشارات عن البعث، وبعض الباحثين يذهب إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث القومي لليهود، وعودة دولتهم، وانتصارهم على أعدائهم، وسوف نناقش الباحثين فيما ذهبوا إليه.

والبعض الآخر من الباحثين يرون أن الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء مقصود بها البعث الأخروي، ولكنهم يرجعون ذلك إلى تأثر اليهود بعقيدة اليوم الآخر من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلي، وسوف نناقش هذا الرأي أيضًا.

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان «**القيامة في العهد الجديد**»: «**يظهر من الإيمان بالإثابة والجزاء الوارد في أيوب** [١] **بأن القيامة مفهومة ضمنًا، وكذلك تذكر القيامة ضمنًا في المواضع التي يعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله وفي حضرته في المزامير** [٢]**، ويحدثنا أشعياء** [٣] **عن قيامة المؤمنين، وكذلك يعلم دانيال** [٤] **عن قيامة البعض للحياة الأبدية، وقيامة آخرين للعار للازدراء الأبدي، ويصف حزقيال** [٥] **نوعًا من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله**» [٦]. وسوف نعرض النصوص التي أشار إليها الكتاب المقدس لنرى هل تشير إلى البعث الأخروي أم تشير إلى البعث القومي لليهود كما يذهب البعض؟

---

(١) أيوب: ١٩ : ٢٥ - ٢٧ .

(٢) ١٦: ٩-١١، ١٧: ١٥، ٤٩: ١٥، ٧٣: ٢٤ .

(٣) أشعياء ٢٦: ١٩ .

(٤) ١٢: ٢ .

(٥) حزقيال.

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ - ٧٤٩ .

نص أيوب: «أما أنا فقد علمت أن ولي حي، والآخر على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي وعيناي تنظران، وليس آخر، إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي» [١] ويشرح صاحب السنن القويم في تفسير العهد القديم نص أيوب هكذا: «فقد علمت امتحنه الله بمصائب عظيمة، حتى ظهر له أن الله قد تركه وأصحابه كانوا له معزين متعبين، وليس له رجاء بالحياة، ولا بذكر طيب بعد الموت، وليس أمامه إلا الظلام، ومع ذلك ظل إيمانه ثابتًا بأن الله يحبه ولا يترك من خلقه واعتنى به، والشركة التي كانت له مع الله عربون شركته أفضل تدوم إلى الأبد، فقال بشدة «قد علمت»، ولم يعلم إلا بالإيمان «ولي»: هو النسيب الأقرب، الذي له حق أن يأخذ بالثأر، وله حق أن يفك الميراث [٢]، والله ولي شعبه [٣]، وهو ولي المؤمنين أفرادًا، أي يعينهم وينتقم لهم كنائب عنهم، ولا يشير الاسم «ولي» إلى من يخلص من الخطية كالاسم «فادي» في العهد الجديد، وقال إن وليه حي سيبرره بعد موته، وخصص هذا الولي لنفسه (ولي، والآخر لم يقم له ولي، وهو حي ولكنه رجا كل الرجاء بولي يقوم له في الآخر، أي بعد موته الأول اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله، بدون جسدي أي بعد موته فيكون جسده قد تلاشى، أرى الله، وذلك بعد موته وبدون جسده [٤].

ولا شك في أن معرفة أيوب بقيامة الجسد ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسي العهد القديم» [٥] وهذا النص يشير إلى البعث الأخروي، وليس المجال هنا مناقشة هل النص يشير إلى البعث الجسدي أم البعث بالروح ؟ [٦]. الذي يثبته النص أن أيوب كان عنده إيمان أنه سيبعث ويرى الله، وهذا ما يرجوه وينتظره.

(١) أيوب ١٩ - ٢٥ - ٢٦ .
(٢) راعوث ٤: ١ .
(٣) أشعياء ٥٤ : ٥.
(٤) المزامير ١٩٠: ١٤ .
(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .
(٦) التوراة السامرية ص ١٤، ١٥ تحقيق الدكتور السقا.

أما النصوص في المزامير، والتي أشار إليها قاموس الكتاب المقدس على أنها تشير إلى البعث والقيامة فهي: «**لأنك لم تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فسادًا، فعرفني سبيل الحياة، أمامك شبع وسرور في يمينك نعم إلى الأبد**» (١).

«**أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك**» (٢).

«**إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني**» (٣).

«**برأيك تهديني وبُعد إلى مجد تأخذني. من لي في السماء ومعاه لا أريد شيئًا في الأرض**» (٤).

فهذه إشارات ضمنية إلى البعث والقيامة والنعيم عند الله.

وننتقل بعد ذلك إلى نص أشعياء. «**تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا بإسكان التراب، لأن طلك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة**» (٥).

ويفسر نص أشعياء على أنه إشارة إلى البعث القومي، وعودة اليهود لأرضهم. يقول صاحب السنن القويم: «**الرب قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود في بابل مدة السبي في الذل، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات، فقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم، فتقوم أمة اليهود ثانية، أي الكلام هنا في موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة جديدة. وإسكان الأرض**» إن الرب دعا هنا المذلين والحزانى إلى الفرح والتسابيح لأنه سيخلصهم «**طل أعشاب**» شبه اليهود بعشب قد يبس من عدم الرطوبة، ثم نزل عليه المطر أي نعمة الله فانتعش (تسقط الأخيلة) معنى هذه الجملة كمعنى الجملة في أول الآية (تحيا أمواتك) أي هي إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية» (٦).

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا في تفسيره، يقول: «**الحياة من الموت هنا**

---

(١) مزامير ١٦: ١٠ - ١١ .
(٢) مزامير ١٧: ١٥.
(٣) مزامير ٤٩: ١٥ .
(٤) مزامير ٧٣: ٢٤ - ٢٥ .
(٥) أشعياء ٢٦: ١٩ .
(٦) السنن القويم في تفسير العهد القديم ص ١٨٦، ١٨٧ .

كناية عن نهضة قومية ورجوع روحي معًا، يغفر خطاياهم. قال البعض إن هذه قيامة جسدية حرفية قيامة أموات، لكن قيامة الأموات نوعان:

النوع الأول: الذين فعلوا الصالحات يخرجون إلى قيامة الحياة.

النوع الثاني: الذين فعلوا السيئات يقومون إلى قيامة الدينونة. يقول **«استيقظوا»** أي كانوا نائمين كعظام في التراب، لكنها ستقوم، **«والأرض تسقط الأخيلة، أي تلفظ الأموات»** (١).

والنص على ظاهره يتحدث عن البعث **«تحيا أمواتك»** ولا أدري لماذا حرفه صاحب السنن القويم، وناشد حنا في تفسيره عن بعث الأموات، إلى بعث اليهود القومي؟ وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود، فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة، وتقوم دولتهم، وينتصرون على أعدائهم، وبعد ذلك الانتصار والعودة القومية يبعثون للآخرة، باعتبارهم أبناء الله وأحباؤه، ويعتبرون أن العودة القومية التي تسبق الحياة الأخرى، من المميزات لهم عن بقية الأمم. يقول **«سعديا الفيومي»: «ألسنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيي جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة؟ فأي شيء لمنكر أن يكون فضّل هذه الأمة مدة زيادة يحيي فيها موتانا قبل دار الآخرة، حتى يصل حياتهُم تلك بحياةِ الآخرة؟ وأي شيء السبب المانع من ذلك والدافع له؟ أو ليس هو عدلا يعوض كل ممتحن حسب محنته؟ وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة»** (٢) فعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية فتلك العودة يتبعها مباشرةً البعث الأخروي.. وأرى أن النص بظاهره يشير إلى البعث الأخروي، أما إشارته إلى العودة القومية، فبتأويل كما رأينا في تفسير السنن القويم، وناشد حنا.

ونص دانيال الذي أورده قاموس الكتاب المقدس هو: **«وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»** (٣).

---

(١) أشعياء مفصلا آية آية ص ٢٤٤، ٢٤٥ جـ ١ ناشد حنا.

(٢) الأمانات والاعتقادات سعديا الفيومي ص ٢٢٩ .

(٣) دانيال ١٢ - ٢ .

يقول ناشد حنا: **«وقد أخذت الآية أيضًا على أنها قيامة أموات حرفية وأنها قيامة عامة، البعض يذهبون إلى الحياة الأبدية، والبعض الآخر إلى جهنم، لكن المقصود هنا بالراقدين في تراب الأرض اليهود المشتتون سيجمعهم الرب، بعضهم يرجع رجوعًا قوميًا فقط كالذين في دولة إسرائيل الآن، والبعض الآخر يرجعون رجوعًا قوميًا وروحيًا فهؤلاء للحياة الأبدية أي الملك الألفي»**(١).

ونص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروي كما رجحنا في نص أشعياء، بدليل أن قوله **«وكثيرون من الراقدين»** لا يمكن أن يشير إلى البعث الأخروي، لأن البعث الأخروي عام وشامل. يقول صاحب الديانات والعقائد **«ولئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التي هي العودة إلى الحياة فليست البعث الذي يتم في اليوم الآخر، بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا هم الراقدين جميعًا، بل كثيرين منهم هم الذين يستيقظون، وإذا كانت اليقظة غير عامة شاملة فليست بعثًا لليوم الآخر»** (٢).

أما نص حزقيال: **«أيتها العظام اليابسة، اسمعي كلمة الرب، هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، هأنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصبا، وأكسيكم لحما، وأبسط عليكم جلدا، وأجعل فيكم روحًا، فتحيون وتعلمون أني أنا الرب»** (٣).

يقول رشاد فكري، في تفسيره لسفر حزقيال: **«هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمتعون بالبركات الإلهية، فالموضوع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية، لكن عمل الله في إسرائيل لكي يحيا مرة أخرى كأمة»** (٤). ونفس المعنى الذي ذهب إليه رشاد فكري ذكره مؤلفو قاموس الكتاب المقدس. وإن كنت أرى أن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث، والحياة بعد الموت **«أدخل**

---

(١) أشعياء مفصلا آية آية – ناشد حنا جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ ٢ ص ٢٤٣ – أحمد عبد الغفور عطا الطبعة الأولى ١٩٨١ – مكة المكرمة.

(٣) سفر حزقيال ٢٧ : ٤ – ٧ .

(٤) تفسير حزقيال ص ٣٢١، ٣٢٢ – رشاد فكري – مكتبة كنيسة الأخوة. وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩ .

obeikandl.com

فيكم روحًا فتحيون، وأضع عليكم عصبا، وأكسيكم لحمًا، وأبسط عليكم جلدًا» [١].

هذه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك **«وتعلمون أني أنا الرب»**، ولا أدري لماذا عدَل مفسرو النصارى عن القول بأن نص حزقيال يشير إلى البعث الأخروي، ورجحوا دلالة النص على البعث القومي السياسي، ونحن هنا نستأنس بآراء مفسري النصارى فقط لأن آراء النصارى ليست ملزمة لليهود.

وهنا اتجاه آخر يذهب إلى أن الإشارات السابقة في أسفار الأنبياء تشير إلى البعث الأخروي، وأن الاعتقاد بالآخرة لم يكن له وجود قبل عصر الأنبياء. ورد في علم اللاهوت الكتابي **«أن الاعتقاد بالآخرة مثله مثل التوحيد في العهد القديم، كلاهما من اختراع الأنبياء، وهذا معناه أنه لم يكن هناك توحيد أخلاقي قبل عصر الأنبياء، فإنه لم يكن قبل ذلك وجود للاعتقاد بالآخرة»** [٢].

ولكن هذا الاتجاه يذهب إلى أن اليهود تأثروا بعقيدة اليوم الآخر من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية، يرى مؤلف تراث العالم القديم أنه حتى **«عشية النفي كانت الأمة مسئولة عن خطايا أعضائها، وكان البريء والمذنب على السواء ينالهما الجزاء الذي يقع على المجتمع، ثم حدث مع النفي تغير، وأصبحت مطالب الفرد في عدالة «يهوه»** تلح إلحاحًا يطرد ازديادا لإرضائها، وقد رأينا أن مفكرين كمؤلف سفر أيوب جاهد على غير طائل للوصول إلى جواب عن المسألة، لقد كانت وطأة الاضطهاد في عهد أنطيوخوس هي التي فرضت الاعتقاد في البعث على العقل اليهودي، ولقد كان قاصرًا قبل ذلك الوقت على أقلية صغيرة، تأثرت فيما يُرَجَّحُ بالاتصال بالأفكار الزرادشتية في عهد الحكم الفارسي، وأن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة» [٣].

---

(١) حزقيال ٣٧ : ٤ - ٧ .

(٢) علم اللاهوت الكتابي جـ ٢ ص ٤٤٣ - تأليف جرهاردوس فوس - ترجمة الدكتور عزت زكي الناشر - دار الثقافة ١٩٨٢ .

(٣) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ تأليف ز . ح - دي بورج ترجمة زكي الناشر دار الكرنك ١٩٦٥ .

ويذهب إلى هذا الرأي أيضًا - تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس، وبابل - جرهاردوش فوس بقوله: **«إن الإيمان العبراني كما أنه تأثر في أمور كثيرة بالمعتقدات السائدة. تأثر أيضًا فيما يختص بالآخرة»** (١).

يقول الدكتور كامل سعفان: **«وإذا كان دانيال قد أشار إلى يوم البعث والجزاء بقوله: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»** فهذا دليل على ما أصاب من تحريف أو تزييف» (٢) ولقد ذكرنا من قبل كيف استدل بعضُ الباحثين بنص دانيال على أنه إشارة إلى البعث القومي، لأن البعث الأخروي عام وشامل، ونص دانيال فيه **«كثيرون من الراقدين في التراب»** ولعل أصلها الصحيح قبل التحريف **«الكثيرون الذين رقدوا في تراب الأرض»** ويكون المعنى حينئذ مشيرًا إلى البعث الأخروي، ولكن اليهود مارسوا عملية التحريف والتبديل في نصوص الأسفار.

ويذهب الدكتور كامل سعفان إلى احتمال آخر، وهو التأثر بالفرس في عقيدة البعث والجزاء، يقول عن أسباب التحريف في النصوص: **«إنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية زمن الأسر الطويل، وإبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش، وهو احتمال يؤكده العبث بالأصل السماوي»** (٣). وسوف نناقش عملية التأثر تلك عند عرضنا لرأي صاحب قصة الحضارة.

يقول **«وول ديورانت»**: **«ولم تبن فكرة البعث في خلد اليهود إلّا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئًا منها عن المصريين، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية»** (٤).

يقول الأستاذ **«عبد الكريم الخطيب»** في تعليقه على عبارة **«ديورانت»** الأخيرة:

---

(١) علم اللاهوت الكتابي جـ ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) اليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٦١ .

(٣) نفسه.

(٤) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ - وانظر تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٨ - ٩٩ .

«هكذا يقول ديورانت ونحن نخالفه في هذا، فإن شريعة موسى لا شك قد حملت إلى بني إسرائيل صورة واضحة عن البعث والحساب، والجنة والنار، وإن يكن بنو إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة في عهد من عهودهم فإنهم حين جددوا العهد والتمسوا الحياة الآخرة فيه كان أقرب شيء إليهم هو ما في شريعة موسى المكتوبة في الصحف أو المحفوظة في بعض الصدور، فذلك أقرب إليهم بلا شك من أن يلتمسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى، التي تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة للديانات الموسوية» (١).

والحق ما ذهب إليه الأستاذ **«الخطيب»** فإنه مهما كان التحريف في عهد من عهود اليهود فإن احتمال رجوعهم إلى شريعة موسى أقرب من رجوعهم إلى غيرهم من الأمم الوثنية، وإذا كانت الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتأخرين محتملة كما رأينا، أو يُزْعَمُ أن اليهود تأثروا فيها بغيرهم من الأمم الوثنية؛ فإننا نستطيع أن نجد بعض الأدلة على البعث بطريق غير مباشرة، هذه الأدلة تتضح من عدة نماذج لإحياء الموتى كمعجزات للأنبياء (٢).

وبعد أن استعرضنا الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث، نجد أنها لا تقدم صورة مسهبة ومفصلة تتناسب مع الأصل العقائدي الهام الذي يتمثل في الاعتقاد باليوم الآخر.

وإذا أردنا أن نحدد بدقةٍ أوجهَ الاتفاق وأوجه الاختلاف بين ما ورد في العهد القديم وما ورد في القرآن الكريم. فإن أوجه الاتفاق تتمثل في:

أولاً: أن أصل فكرة البعث مبثوثة في العهد القديم كإشارات مجملة، ولا تعطي تصورًا مفصلًا عن الآخرة وما فيها.

ثانيًا: أن بعض الإشارات كالتي وردت في سفري أشعياء وحزقيال تتفق بوجه من الوجوه مع بعض ما ورد في القرآن الكريم من قيام الناس لله رب العالمين.

---

(١) الله والإنسان ص ٢٥٥ .

(٢) سنتحدث عن هذه الحالات تفصيلًا عند مبحث الاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود.

أما أوجه الاختلاف: فتتمثل في:

أولاً: أن العهد القديم لا يقدم تفصيلاتٍ تذكر، كالتي يذكرها القرآن الكريم، من إرهاصات يوم القيامة، ونسف الجبال، وتبديل الأرض غير الأرض والسماوات، كما لا يشير إلى نفخ الصور، كما تحدث القرآن الكريم، وتحدثت بعض النصوص في الأناجيل.

ثانيًا: أن العهد القديم لا يقدم أي تصور مفصل عن خروج الناس من القبور سراعًا، ولا عن كيفية بعثهم ونشرهم يوم القيامة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى والكتب التي نزلت على الأنبياء من بعده.

ويدلنا أيضًا أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يُرجَعُ إليه ويُحْتَكَمُ له عند الاختلاف بين ما ورد في الكتب السابقة وبين ما في القرآن، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر :٩].

الاتجاه الثالث: عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية:

يتمثل هذا الاتجاه في عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية التي تتحدث عن العقائد اليهودية. وتجدر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد **«لأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين، خصوصًا بعد عودتهم من سبي بابل»** [(١)]. وإن كنت لم أعثر على نصوص من التلمود تتحدث عن البعث وكيفيته؛ فإن هذا لا يعني أن التلمود لم يتحدث عن البعث وكيفيته، وعذرى في ذلك أن التلمود من الكتب النادرة الوجود. يقول الأستاذ **«شوقي عبد الناصر»: «إن التلمود ومعناه كتاب تعاليم اليهود وآدابهم، فهو من أندر الكتب**

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠، ٩١ .

الموجودة في عالمنا على الإطلاق، وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخ» [١].

وإذا تركنا التلمود فإننا نجد أن مفكري اليهود وعلماءهم يقرون بالبعث والقيامة. يقول سعديا الفيومي: **«إن إحياء الموتى الذي عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه»** [٢] وبين السبب في ذلك بقوله: **«لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان، وسبب تشريفه الطاعة، وثمرتها الحياة الدائمة في دار الجزاء»** [٣] ويواصل حديثه عن البعث قائلًا: **«ورأينا إحياء الموتى، ولا شاهد يدفعه، لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم، وإنما نقول إن خالقهم يحييهم، ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شيء لا من شيء»** [٤].

وموسى بن ميمون اليهودي يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند اليهود. وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا. يقول ابن ميمون: **«أنا أؤمن** [٥] **إيمانًا كاملاً بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن، وإلى أبد الآبدين»** [٦].

وعقيدة الآخرة نجدها مبثوثة في ثنايا كتب اليهود، إذ يعبرون بأن الغرض الأسمى نيل السعادة في الآخرة. جاء في كتاب شعار الخضر في الأحكام الإسرائيلية قول مؤلفه: **«إن جُلَّ قصد شريعتنا الإلهية هو أن ينال الإنسان السعادة الأبدية»** [٧].

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون وتعليم التلمود ص ١، ٢ .
(٢) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ .
(٣) نفسه ص ٢١٣ . (٤) نفسه ص ٢١٣ .
(٥) انظر الفكر اليهودي الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١٥٧ وما بعدها ويذهب الدكتور ظاظا إلى أن موسى بن ميمون تأثر بالمسلمين في عقيدة الآخرة.
(٦) نقلا عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .
(٧) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائيق ص ٧ تعريب مراد فرج مطبعة الغرائب بمصر ١٩١٧ .

وجاء في مقدمة كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء: «**رزقنا الله الممات على حفظه وحب هذا النبي العظيم**» أي موسى عليه السلام، «**وحشرنا في زمرته، ولا جعلنا من المبعودين في هذه الدار من أمته المحرومين في الآخرة من شفاعته**» (١).

ومن فوق اليهود فرقة الكوستانية، وهي فرقة من فرق اليهود المتأخرة، تقر بالآخرة، والثواب والعقاب (٢)، ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الفرق اليهودية تنكر البعث والآخرة، ومن هذه الفرق الصدوقيين «**نسبة إلى صدوق أو صادوق بمعنى صادق، رئيس الكهنة أيام داود وسليمان، ومن عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابين، فسُمي أنصاره وخلفاؤه صدوقيين، أو بمعنى أصح صادقيين، وكانوا ضد تقليد الآباء، على عكس الفريسين خصومهم، ومالوا إلى الفلسفة اليونانية، ومدافعة الشر وأنكروا وجود الملائكة والروح، ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب في الجسد، بدعوى أن النفس تموت مع الجسد، وأن النص التوراتي يخلو من أي إشارة إلى معاد وحساب**» (٣).

ونلاحظ أن عدم إيمان الصدوقيين بالقيامة راجع إلى عدم إيمانهم بالتعاليم الشفوية كالتلمود الذي يعتقده سائر اليهود وغيرهم، ولما كانت التوراة لم تتحدث عن القيامة فقد تمسكوا بها، ورفضوا التلمود وتعاليم الآباء الشفوية، بما فيها من ذكر للبعث والقيامة.

وهناك بعضُ الفرق اليهودية التي تنكر البعث والقيامة في الآخرة وتؤمن بأن الثواب والعقاب في الدنيا، من هذه الفرق الدوستانية يقول الشهرستاني: «**الدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا**» (٤).

---

(١) نقلا عن مقدمة يقظة أولي الاعتبار ص ١٢ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٤٨ .

(٣) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ الدكتور عبد المنعم الحنفي دار المسرة - بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، وانظر الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ٢٥٩ وانظر عبقرية المسيح للعقاد ص ٢٢ - نشر كتاب اليوم ١٩٥٣، وانظر دينونة البشر العامة ص ٥١، ٥٢ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل جـ ٢ ص ٤٨ .

تعقيب على البعث في التصور اليهودي:

بعد عرضنا للاتجاهات الثلاثة التي مرت يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

أولاً: أن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والآخرة، وما يسبقها من نفخ في الصور وما يصاحبها، من نسف الجبال، وتبديل للأرض غير الأرض والسماوات، وما يقع فيها من حساب وجزاء، وجنة ونار، يدل على التحريف الذي لحق بالتوراة، بعد موسى عليه السلام. لأن أمور البعث والآخرة أنزلها الله على موسى في التوراة مفصلة.

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام :١٥٤].

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التي جعلتهم يتعلقون بالدنيا ومتاعها، كتموا ما أنزل الله في التوراة، من ذكر للآخرة وما فيها، وبقيت صورة مضطربة، ليس لها ما يسندها من نصوص مكتوبة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت.... ومن هنا نفسر كراهية اليهود للموت وما بعده، لئلا يشغلوا بالآخرة عن الدنيا ومتاعها التي سيطرت عليهم سيطرة تامة. يتضح ذلك في التوراة الحالية المحرفة.

ولقد تحداهم القرآن الكريم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في إيمانهم بالله وما أعده لهم.

ثانيًا: أن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة، ولكن تلك الإشارات لا تعطي تفصيلات مناسبة عن اليوم الآخر، تتناسب مع ذلك الركن العقائدي الهام، خاصة وأن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا، من أمور الزراعة والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم، وأيضًا أمور الحرب والقتال وغير ذلك من الأمور التي تعتبر أقل أهمية من الآخرة التي كان يجب أن تحتل مكانةً كبيرةً في أسفارِ اليهود، ولكن

التحريف والتبديل سبب كثيرًا من المفارقات عند اليهود.

ثالثًا: إن علماء النصارى شاركوا اليهود في التحريف للنصوص، فإنْ كنا ذهبنا إلى أن اليهود حرفوا النصوص الواردة في العهد القديم عن الآخرة وما فيها، بكتمانها وعدم إثباتها؛ فإن النصارى أيضًا شاركوا في التحريف بتأويل البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر في أسفار الأنبياء بصرفها عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي، بالرغم من صراحة بعض النصوص كنص أشعياء وحزقيال. ونحن نتعرض للنصارى ومشاركتهم في التحريف وإن كان التعقيب على البعث عند اليهود، وذلك لأن النصارى تعتقد في قدسية العهد القديم، ويستدلون بنصوصه في تصوير كافة عقائدهم(١)، وهذا ما جعلنا نعلق على مسلك النصارى في تأويل نصوص العهد القديم، مع علمنا بأن تفسيراتهم ليست ملزمة لليهود، وإنما نستأنس بما قيل حول النصوص، لا أكثر من ذلك.

رابعًا: أن التلمود وتعاليم الآباء الشفوية كانت مصدرًا من أهم المصادر لدى اليهود في تصورهم للآخرة، وما فيها من بعث للأموات وثواب وعقاب.

خامسًا: أن اليهود باستثناء بعض الفرق - كالصدوقيين - يقرون بالبعث على نحو ما ورد في أسفار الأنبياء المتأخرة. والتلمود والتعاليم الشفوية التي يدعون انتقالها عن الآباء الذين كانوا قبل موسى وبعده.

سادسًا: أن اليهود على عهد النبي ﷺ كانوا يؤمنون بالآخرة.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أو يا أبا القاسم، إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ،

(١) لسنا في مجال مناقشة النصارى في ادعائهم قدسية العهد القديم مع أنهم يخالفون كثيرًا من الأمور الواردة فيه.

تعجبا بما قال الحبر تصديقًا له، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر :٦٧][(١)]

* * *

(١) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥١٥ - طبعة عيسى الحلبي.

obeikandl.com